مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ تيموثاوس ٤: ٥–٨)

يا ولدي تيوثاوسَ تيقَّظ
في كـل شـيءٍ واحـتـمِـل
المشـقَّـاتِ واعـمَـلْ عَـمَـل
المبشِّر وأَوفِ خدمَتَك* أما
أنا فقد أُريقَ السَّكيبُ عليَّ
ووقتُ انحلالي قد اقترب*
وقد جاهدتُ الجِهادَ الحسَنَ
وأَتممتُ شَوْطي وحفَظتُ
الإيمان* وإنَّما يبقى
محفوظاً لي إكليلُ العدلِ
الذي يَجزيني به في ذلك
اليوم الربُّ الديَّانُ العادل
لا إيَّاي فقط بل جميعَ
الذينَ يُحبُّون ظهورَهُ أيضاً.

الإنجيل

(مرقس ١: ١–٨)

بدءُ إنجيلِ يسوعَ المسيح
ابنِ الله. كما هو مكتوبٌ في
الأنبياءِ: هاءَنذا مُرسِلٌ
ملاكي أمام وجهِك يُهيِّءُ
طريقَك قدَّامك* صوتُ
صارخٍ في البريَّة أعدُّوا
طريقَ الربّ واجعَلوا سُبلَه
قويمةً* كان يوحنا يعمِّد في

الظهور الإلهي

يرتبط حَدَث الظهور الإلهي في فكر القديس رومانوس بالنور الإلهي الذي سطع بورود الرب يسوع المسيح إلى الأردن ليعتمد، هذا الفكر نجده أيضاً في خدمة عيد الظهور الإلهي نفسها: «إن النور الحقيقي قد ظهر. فهو يمنح الإستنارة للجميع» (من إينوس العيد)؛ «إن السابق لما أبصر من هو استنارتنا، الذي ينير كل إنسانٍ آتياً ليصطبغ إبتهجت نفسه» (من صلاة المساء)؛ «لقد ظهرت في العالم يا مبدع العالم لكي تنير الجالسين في الظلام» (من صلاة المساء).

في يوم عيد الظهور الإلهي نرتل أيضاً «اليوم ظهرت للمسكونة يا رب ونورك قد ارتسم علينا، نحن الذين نسبحك بمعرفة قائلين: لقد أتيت وظهرت أيها النور الذي لا يُدنى منه».

في قنداقه الثاني لعيد الظهور الإلهي يتابع القديس رومانوس تعليمه عن النور الإلهي الذي أنار الذين في الظلام ويربطه بأحداث العهد القديم مبتدئاً من آدم الذي عمي بمخالفته وصية الرب، وقد أعاد إليه الرب بصره إذ طلعت عليه شمس من بيت لحم وغسلت عينيه بماء الأردن، «إن الذي كان مغموراً بالظلمة والظلال أشرق عليه النور الذي لا يغيب... لقد انعتق من العتمة وتوجه نحو الصباح الذي ظهر وأنار الجميع».

إن الذي خشيه آدم عندما سقط انحدر إلى الأرض وصار كمائت ليصيّر آدم إلهاً ويلبسه الحلّة الأولى. بتجسده أرانا الرب نفسه على حقيقته، الإله المتجسد، لا كما ظهر قديماً لإبراهيم عند بلوطات ممرا (تك ١٨: ١)، حيث ظهر بشكل ملاك. كما أن يعقوب رأى الله في الحلم من أعلى السلم الواصلة إلى السماء (تك ٢٨: ١٢)، أما الآن فقد أظهر الرب نفسه ليس في الظاهر بل بالحقيقة، وجهاً لوجه. موسى أيضاً لم يعطه الله أن يراه كلياً، لكنه تطلّع إليه من نقرة الصخرة (خر ٣٣: ١٨–٢٣)، ورأى الله من الخلف دون وجهه، أما نحن فقد رأيناه بكليّته: «المجد لك لأنك أظهرت نفسك لنا بكليّتك، ليس جزئياً، بل كاملاً، ونحن نراك أيها الخالق الذي ظهرت وأنرت الجميع».

لقد رأى أشعيا قديماً الرب جالساً على العرش ومجده مِلْءُ الأرض ولكنه رآه بالروح وليس بعينيه الحسيّتين (إش ٦: ١–٤)، أما نحن فإننا نرى بأعيننا الحسيّة رب الجنود ونرفع إليه التسبيح المثلّث تقديسه هاتفين: «قدوس، قدوس يا مَن تجسد، ... يا من ظهرت وأنرت الجميع».

لقد مَنَحنا الله نعمة عظيمة بظهوره لنا بالجسد، وهذا ما اشتهاه الأنبياء وآباء العهد القديم ولكنهم لم ينالوه. وإذا ما تأملنا في ذلك فقط، نجد

العدد ١/ ٢٠١٠

الأحد ٣ كانون الثاني

الأحد قبل الظهور الإلهي

تذكار القديس ملاخيا النبي

والقديس غرديوس الشهيد

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الثامن

البريَّةِ ويكرز بمعموديةِ التوبةِ لغفران الخطايا* وكان يخرج إليه جميع أهلِ بلد اليهودية وأورشليمَ فيعتمدون جميعُهم منه في نهرِ الأردن معترفين بخطاياهم* وكان يوحنا يلبَس وَبَرَ الإبلِ وعلى حَقَوَيهِ منطقةٌ من جلدٍ ويأكلُ جراداً وعسلاً برّياً* وكان يكرزُ قائلاً إنَّه يأتي بعدي من هو أقوى مني وأنا لا أستحقُّ أن أنحنيَ وأحلَّ سَيْرَ حِذائهِ* أنا عمَّدتُكم بالماءِ وأمَّا هو فيُعمِّدكم بالروح القدس.

تأمل

ان اقتبال المعمودية يعني بالضبط الولادة حسب المسيح، أن نُخلق من العدم، ويمكننا أن نعرف ذلك بالعديد من الأدلة. أولاً: من الترتيب الذي تحظى به. انها تتم أولاً وقبل كل الأسرار وبها يدخل المسيحيون إلى الحياة الجديدة. ثانياً: من الأسماء التي نعطيها لها. ثالثاً: من الطقوس والأناشيد المرعية أثناء إتمامها. الترتيب هو كما يأتي: أولاً الغسل، ثانياً مسحة الميرون، وأخيراً الوليمة الشكرية. والبرهان القاطع على ان الغسل هو المبدأ والشرط الأولي لهذه الطريق التي علينا سلوكها، فإن الكلمة قريبة منا (تث ٣٠: ١٤) فلماذا البحث في أماكن بعيدة؟

إن العذراء أرتنا الطريق المستقيم إذدعت الرب ابنها الذي وُلد منها حقيقة. فقد تجسَّد منها ومن الروح القدس. إنه حمل الله الرافع خطيئة العالم، كما أعلن يوحنا السابق. ومن صوف هذا الحمَل لبسنا الثوب الأبيض الذي خاطه لنا الروح القدس. خلعنا عنا ثوب الحداد ولبسنا عدم الفساد. لم يعد إذاً من حاجة إلى تيس الماعز الذي كان هرون يضع يديه على رأسه ويقر بكل ذنوب بني إسرائيل ويرسله إلى البرية (لا١٦: ٢١)، بل فلنضع أيدينا على هذا الحمَل معترفين بخطايانا، لأنه لم يأتِ ليرفع خطايانا فقط بل خطايا كل العالم.

إن ربنا يسوع المسيح مخلّصنا هو النور الذي لا يعروه مساء وهو الذي ينير أذهاننا ويخاطب عقولنا قائلا: أنتم الذين كنتم دائماً عطاشاً تعالوا إلي واستقوا. إننا عطاش وجياع، لا إلى الماء والمأكل بل إلى كلمة الروح، والرب يسوع يروي قلوبنا المتضعة التي كسرها المضل.

«إني أسبّح ظهورك، فاعطني علامة وطهّرني من ذنوبي الخفية، وضمّد جروحي الخفية التي تفسني... إني أكشف أمامك معاناتي لأني وجدتك خلاصي أنت الذي ظهرت وأنرت الجميع».

عظة الميلاد

«المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرّة».

اليوم نعيّد لتجسد الرب الإله وولادته بالجسد من عذراء نذرت نفسها للرب وهتفت عندما بشرّها الملاك بأن الروح القدس حلّ عليها وأنها ستلد ابناً يُدعى ابنَ الله «ها أنذا أمةٌ للرب فليكن لي بحسب قولك».

وعندما ولدت ابنها في مغارة في بيت لحم اليهودية، أيام هيرودس الملك، جاء مجوسٌ من المشرق يسألون عن المولود ملك اليهود، الذي رأوا نجمه في المشرق وأتوا للسجود له. ولما سمع هيرودس بالخبر اضطرب وجميع أورشليم معه.

هيرودس الملك خاف من الطفل يسوع المولود في مغارة. أليس هذا أمراً عجيباً؟ الملوكُ والحكامُ والأباطرةُ وأقوياءُ هذا العالم لا يخافون، بل هم أحياناً كثيرة يُخيفون. الشعبُ يخافهم والضعفاءُ بشكل خاص، لأنه حيث القوة لا خوف. حيث تكون القوة يكون البطشُ وربما الظلم. فلمَ أخافَ طفلٌ ملكاً؟ الجواب بديهي بالنسبة للمسيحي المؤمن: الحقُ يخيف والصدقُ يخيف والعدلُ يخيف، وهذه صفاتُ الملِكِ السماوي لا ملوك الأرض. ملوك الأرض يحكمون في الأرض، ورغم المظاهر البرّاقة، ورغم محبة الرعية التي يسوسونها وقد تكون هذه المحبة صادقةً أو وليدة الخوف والرعب، هم يعرفون صفاتهم، وفي قرارة نفوسهم يميّزون بين الحسَنِ فيها والسيء. ومهما تجبّر أحدُهم، ومهما أحاط نفسه بمظاهر العَظَمَةِ، ومهما ادّعى أمام الآخرين فهو يعرف نفسه جيداً، وبينه وبين نفسه لا يمكنه إلاّ أن يكون صادقاً.

هذه حال هيرودس الملك. كان بإمكانه أن يتجاهل هذا الطفلَ الفقيرَ المولودَ في مغارة، لكنه في عمقِ أعماقه علِمَ أن هذا الطفل يشكل خطراً حقيقياً عليه لا لأنه يملك الممالك والأراضي أو الأسلحة والجيوش، بل لأنه رمزٌ للمحبة والتضحية والعطاء الكامل، رمزٌ للقيم التي سوف يعتمدها مَن سيؤمن بهذا الطفل الإلهي، وهي بعيدة كلّ البعد عن قلب هيرودس وأمثاله. لذلك قرّر قتله. قرّر محوه من الوجود. واعتمد لهذا الهدف الحيلة إذ قال للمجوس الآتين للسجود للطفل يسوع: «إذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبي ومتى وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا أيضاً وأسجد له» (متى ٢: ٥). ولما لم يرجع المجوسُ أمر الطاغية بقتل «جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها من إبن سنتين فما دون بحسب

الحياة يقدمه السيد نفسه. ان السيد قبل بدئه بعمله الخلاصي وتحمله الآلام من أجلنا قَبلَ المعمودية أولاً. أيمكن أن يكون للإلقاب التي نعطيها للمعمودية معان مختلفة: ولادة، إعادة الولادة، إعادة تكوين، الختم، الإغتسال، اللباس، المسحة، الموهبة، الاستنارة، المعمودية؟ ان كل هذه الألقاب تعني شيئاً واحداً: الحياة الجديدة في المسيح. كلمة «ولادة» لا تعني إلا ما تعنيه كلمة «إعادة الولادة»، وكلمة إعادة تكوين لا تعني إلاَّ ما تعنيه «الولادة» و«إعادة الولادة» أي إعادة ولادة أولئك المولودين والمبروئين الذين فقدوا شكلهم فأعادوا شكلهم الأول. حدث ما يحدث مع تمثال مشوّه أعاد إليه الفنان شكله الأول. المعمودية هي الفنان الذي أعاد للإنسان شكله وهيئته وطبع صورة في النفس ونحت شكلاً وجعلها مطابقة للمسيح بالموت والقيامة. ومن أجل ذلك تسمّى ختماً يدمغنا على صورة المَلِك وشكله المغبوط. وبما ان الشكل يكتنف المادة ويقضي على عدم شكلها كذلك السر لباساً أو معمودية يعطيها شكلاً، وقد أشار الرسول بولس إلى ذلك فأكّد ان المسيح يطبع في أرواح

الزمان الذي تحققه من المجوس» (متى ٢: ١٦)، ظاناً أنه سيتخلّص من يسوع. «أما يسوع فكان ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمةً وكانت نعمةُ الله عليه» (لو ٢: ٤٠).

بعد ألفيّتين من الزمن، بمَ يُذكَرُ هيرودس وماذا يمثل؟

أما يسوع المسيح الطفل الذي شكّل الخطرَ الأكبرَ على هيرودس فما زال يشكل خطراً على كل مَن يعرفُ في قرارة نفسه أنه خاطئٌ أو كاذبٌ أو قاتلٌ أو ظالم، ويحاول التخلّص من يسوع كما حاول هيرودس في القديم، يحاول قتله في نفسه كي لا يزعجه أو يردعه عن فعل الشر، يحاول السخرية ممن يقتدي به كي لا يشكل دينونة له، لأنه كما يفضح النورُ الظلمةَ تفضح الفضيلةُ الشرَّ.

في أيامنا هذه، كثيراً ما نسمع انتقاداً للدين ورجال الدين ومَن يتبعون تعاليم الأديان وكأنهم من القرون الوسطى. وهناك مثلاً مَن أصبح يتباهى بالزواج المدني لأن الزواجَ الديني تخلفٌ. نحن نؤمن بحرية الرأي ونحترم أصحاب هذه الآراء ولا نستجدي احترامهم لأنهم غالباً ما يكونون سلبيين رفضيين، لكنني أتساءل ما الضيرُ في أن يكون الإنسانُ مؤمناً بربه خالق السماء والأرض وما عليها؟ ما الضيرُ في أن يكون الإنسانُ محباً، متسامحاً، صادقاً، خيّراً، عطوفاً، كريماً، متواضعاً، وهذه كلّها من ثمار الروح القدس الذي نؤمن نحن المسيحيين أنه ساكنٌ فينا؟ وهل هي خطيئة أو عيب إن كان الإنسان يقصد الكنيسة للصلاة أو لاقتبال الأسرار المقدسة ومنها سر الزواج؟ إن البَرَكة التي يمنحها الرب للعروسين من خلال الكاهن أو الأسقف ليست تعويذة أو سحراً بل هي حضور للرب في قلبيهما وفي حياتهما، ورغم جميع مظاهر التمدن ومجاراة العصر عند الكثيرين ما زال بيننا مَن يؤمن إيماناً عميقاً بالله ويعتمد على رحمته ومحبته ويطلب بركته، ولولا هؤلاء المؤمنين وحضور الله في قلوبهم ربما كنا شهدنا نهاية العالم منذ زمن بعيد.

أما إذا كان مَن يرفضون الدينَ ومظاهرَه يعنون برفضهم هذا الطائفية فنحن أولُ مَن يدينها ويتبرأ منها. الطائفيةُ في بلدنا آفةٌ كبيرة لا لأن الدينَ سيّءٌ بل لأن الطائفيين يتوسّلون الطائفة لمآربهم الشخصية وغاياتهم، ومعظمُهم إن لم نقل كلّهم لا يعرفون للدين معنى. أتباع الطائفية والذين مارسوها ويمارسونها والمدافعون عنها يدافعون عن مصالحهم لا عن الطائفة ولا عن الدين، أي الإيمان بالله الواحد وإتّباع تعاليمه. وقد يكونون لا يعرفون الله بل يتلطّون خلف الطائفة للوصول إلى أهدافهم. هؤلاء يسيئون إلى الدين وإلى الطائفة وإلى الوطن وإلى نفوسهم أولاً لأن الإنسان لا يُقاس بانتمائه إلى طائفة بل بشخصيته الفذة وأخلاقه الرفيعة وعلمه الواسع وخبرته العميقة وإيمانه بأن فضائله هي التي تجعل منه إنساناً محبوباً ومحتَرَماً وهي التي توصله إلى المركز الذي يتمناه لا انتماؤه السطحي إلى مجموعة من الناس تسمّى في بلدنا طائفة. لذلك علينا جميعاً أن ننمّي في نفوس أبنائنا حبَّ التعلّم والمثابرة والعمل الدؤوب بعد أن نكون قد زرعنا في قلوبهم بذرة الإيمان التي بنموّها ستنمو فيهم الفضائل. كذلك من واجب الدولة أن تنشئ المواطنَ الصالح الذي يشعر بانتمائِه العميق إلى وطنه وواجبه الحفاظ عليه، المواطنَ الذي يحترم الأنظمة والقوانين ولا يتخطاها أو يتحايل عليها، المواطنَ الذي يسعى إلى الوظيفة العامة بسبب كفاءاته لا انتماءاته. ومن واجب الدولة أن تشجع ذوي الكفاءة على التقدّم إلى الوظائف العامة باختيارها الأفضل دائماً لا باختيارها الأزلام والأتباع، لأن هؤلاء يسيئون إلى الدولة وهم سبب الفساد الذي يشكو منه الجميع. كثيرون يتاجرون بالطائفية،

المسيحيين صورته وشكله وكذلك يسترهم بلباس رمزي. وان المستنيرين حديثاً يلبسون المسيح عندما يتعمدون «يا بنيّ، أنتم الذين أتمخض بهم مرة أخرى حتى يُصوَّر فيهم المسيح» (غلا ٤: ١٩) وأيضاً: «أنتم الذين خُطت نصب أعينهم صورة المسيح المصلوب» (غلا ٣: ١) ويكتب إلى أهل قورنثية: «أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم المسيح لبستم».

ان الذهب والفضة والنحاس تبقى مادة وتسمّى كذلك ما دامت في حالة الانصهار، ولكنها عندما تتحول إلى أشكال مختلفة تحت ضربات المطرقة لا تبقى مادة خاماً بل مادة ذات شكل فنقول مثلاً تمثالاً، حلقة، ديناراً... أسماء لا تستهدف المادة كمادة بل شكلها، وهكذا الحال أيضاً مع اللباس حول الجسد. وقد تكون تسمية اليوم الخلاصي من قِبَل المسيحيين بيوم التسمية (إذ في هذا اليوم يصير الإنسان مسيحياً) ناتجة عن خلقنا بالضبط في هذا اليوم وتشكيلنا على صورة المسيح وحصول النفس على شكل ووجود بعد أن كانت قبلاً غامضة ومبهمة وبدون شكل.

القديس نيقولا كاباسيلاس

وهناك مَن يدّعي العملَ على إلغائها. نحن لسنا بحاجة إلى إلغاء الطائفية بمعناها الإيجابي، أي الإنتماء إلى طائفة أو جماعة دينية، ما دامت الطوائف الثماني عشرة تشكّل نسيجَ وطننا الفريد. نحن بحاجة إلى إلغاء استغلال الطوائف وذلك بتنشئة المواطن الصالح المؤمن بربه كما قلنا، الذي يسعى إلى خدمة وطنه لا استخدام الوطن. وليكن تعدّدُ الطوائف في بلدنا مصدرَ غنًى ومجالاً للتبادل الحضاري والثقافي عوض أن يكون سبباً لتناتش المراكز واستغلال المواقع.

وما دام نظامُنا طائفياً، والمراكز والوظائف مقسمة على الطوائف، وبالعدل كما يجب أن تكون، أملنا أن تختار حكومتنا أفضل العناصر وأكثَرها كفاءة من كل طائفة لملء الشواغر في الوظائف المخصصة لكل طائفة، لأنه من واجب كل طائفة أن تخدم الوطن، من خلال أبنائها، أفضلَ خدمة. ومن حق كل طائفة أن تفتخر بأبنائها المتفوّقين والبارزين واللامعين من أصحاب الكفاءة والعلم والخبرة والضمير الحي والكف النظيف – ولا عيب في أن يكونوا مؤمنين بربهم، بل من الأفضل أن يكونوا من المؤمنين لأن المؤمن الحقيقي يتحلّى بصفات حميدة لا تحصى – وتقدّمهم لأصحاب الشأن والقرار لكي يستفيد الوطن بكامله من كفاءتهم. وهؤلاء قد يكونون في المَلاك العام أو الخاص. فإن كانوا في المَلاك العام فمن حقهم التدرّج في الوظيفة بحسب القانون والنظام المتبع، ومن غير العدل تجاهلهم أو تجاهل حقوقهم. وليُطبّق مبدأ الثواب والعقاب على الجميع، دون استثناء. فمَن كان صالحاً وأميناً وكفوءاً يُرقى ومَن كان غير صالح فلتُتخذ بحقه الإجراءات المناسبة، بحسب القانون. هكذا يكون العدل سيد الأحكام ونكون قد خطونا الخطوة الأولى في طريق الإصلاح الذي يتغنى الجميع بضرورة اعتماده.

الإصلاح ليس كلاماً ووعوداً بل هو رؤيا واضحة وعملٌ دؤوب وقوانين عادلة وتطبيقٌ حازم وثوابٌ وعقاب. بهذا يتعلّم المواطن احترام القوانين وتطبيقها، إنما يجب أولاً على المعنيين بِفرض القانون أن يكونوا قدوة للآخرين وأن لا يتهاونوا كي لا تعمّ الفوضى.

الأعمال دائماً أفضل من الأقوال، وطوبى لمن يقرن الأقوالَ بالأفعالَ. لذا نسأل حكامنا البدء بتنفيذ ما وعدوا به أو ما يبشرون به، ونحن نصلّي من أجل أن يؤازرهم الرب الإله ويبارك كل عمل صالح يقومون به من أجل خدمة الوطن والمواطنين. كما نصلّي من أجل أن يكون اللبنانيون، كل اللبنانيين، أمناء لهذا الوطن الذي حباهم اللهُ إياه، وأن يعملوا جميعاً، يداً بيد، من أجل ازدهاره وتقدّمه وجعله في مصاف البلدان الراقية.

الجميع يتساءل لِمَ يبرع اللبنانيون خارج الحدود ويلمعون في أصقاع الأرض، وغالباً ما تأتي حلول المشاكل المستعصية على أيديهم، وما زالوا عاجزين عن حل مشاكلهم في وطنهم مثل مأساة السير المزمنة ومعضلة الكهرباء المقطوعة ومشكلة المياه المهدورة والصرف الصحي والأمطار والسيول وقطع الأشجار وحرق الغابات وما إليها. هل لأنهم عاجزون أم لأنه يجب وضع الشخص المناسب في المكان المناسب، واختيار الأفضل دائماً، ونحن نشكر الله على الكفاءات التي ما زالت موجودة عندنا رغم هجرة معظم الأدمغة.

في هذه المناسبة أسأل طفل المغارة، الإله المتجسد الذي اتخذنا من أجل أن يخلّصنا، أن يخلّص مجتمعنا من كل آفاته، ويلهمنا تنشئة الأجيال تنشئة صالحة تجعل منهم مواطنين صالحين، ينتمون إلى طوائف مختلفة لكنهم يعملون من أجل وطنٍ واحد. أسأله أن يعيد عليكم جميعاً هذه المواسم المقدسة إلى سنين عديدة».